الفصل الخامس

علم الاجتماع الإعلامى

المقدمة

نتناول فى هذا الفصل علم الاجتماع الإعلامى كأحد فروع علم الاجتماع، وسنتناول فى البداية العلاقة بين علم الاجتماع والاتصال، ونناقش موضوع علم الاجتماع أولًا على أساس أن علم الاجتماع الإعلامى أحد فروعه. ونظرًا لأن المحور الرئيسى لعلم الاجتماع هو دراسة الظواهر الاجتماعية Social Phenomena[1] فسيتناول الباحث بعض الظواهر الاجتماعية التى قد يسهم الاتصال فيها مثل الضبط الاجتماعى والتغير الاجتماعى والتنشئة الاجتماعية. إن الدراسات التى قامت حول تأثير وسائل الاتصال كانت النواة الأولى لعلم الاجتماع الإعلامى.[2]

ونود أن نوضح أن نظريات التأثير الإعلامية قد تفيد فى إعطاء صورة كلية عن تأثيرات وسائل الاتصال. وهذه النظريات والتأثيرات لا تعد منفصلة عن موضوع البحث، فالسينما والتلفزيون ليست بمنأى عن هذه التأثيرات، وإن كانت هذه التأثيرات لوسائل الاتصال عمومًا، فإنها أوضح ما تكون للسينما والتلفزيون نظرًا لكونها تنقل صورة حقيقية أقرب ما تكون عن الواقع، وإن كان تأثير التلفزيون يتزايد لتعاظم التعرض له، وللتأثيرات المتراكمة للتعرض له.

---

(١) طلعت حسن عبد الرحيم. *علم النفس الاجتماعى المعاصر*. ط ٢ (القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٨١) ص ١٢.

(٢) إنشراح الشال. *دراسات فى علم الاجتماع الإعلامي: مدخل فى علم الاجتماع الإعلامى* (القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٥) ص ٣٢.

علم الاجتماع والإعلام:

الاتصال عملية اجتماعية ضرورية لبقاء المجتمع البشرى، وكل المجتمعات سواء كانت بدائية أو حديثة تعتمد على الاتصال، وذلك حتى يتمكن أفرادها من المعيشة معا وليحافظوا على البناء الاجتماعى ويتمكنوا من التكيف مع البيئة، والمشاركة فى العملية الاتصالية تجعل الفرد كائنا اجتماعيا يتمكن من تحقيق دوره فى المجتمع. ولقد قام أساتذة العلوم الاجتماعية بدراسة الاتصال فى مجالات عديدة كالأنثروبولوجى والسياسة وعلم النفس وعلم النفس الاجتماعى وعلم الاجتماع وآخرون إضافة إلى من تخصصوا فى دراسة الاتصال نفسه.

وينبع الاتجاه السوسيولوجى لدراسة الاتصال من المدخل الذى يؤكد على أن الاتصال عملية اجتماعية ذات نتائج بنائية وتنظيمية وثقافية [١].

والتطور التكنولوجى الهائل الذى طرأ على وسائل الاتصال يجعل الباحث الإعلامى أمام علاقة مثيرة بين وسائل الاتصال والتغير الاجتماعى. ومن ثم كان علم الاجتماع من أوائل العلوم التى اتخذت منهجا تطبيقيا نحو مشكلات الاتصال.[٢]

وأهمية المدخل السوسيولوجى لدراسة وسائل الاتصال الجماهيرى لا يمكن إنكارها. وهذا المدخل هام جدًا لعلم الاجتماع، فما الذى يمكن أن يكون أكثر أهمية من دراسة أمور تؤثر على النظام الاجتماعى كالعمليات الاجتماعية والمؤسسات الاجتماعية والتغير الاجتماعي[٣].

---

(1) Charles R. wright, ***Mass Communication: A sociological perspectives*** 3rd edition (New York: Random House, Inc., 1986) P.4.

(2) Charles R. Wright, Mass Communication Rediscovered: its past and future in American Sociology, in: Sandra J. Ball Rokeach, Muriel G. Cantor (eds.,) ***Media, Audience and social structure, 2nd printing*** (California: Sage publications, 1987) PP.22-33.

(٣) طه عبد العاطى نجم. إسهام نظريات علم الاجتماع فى دراسة الاتصال الجماهيري: رؤية تحليلية نقدية، *مجلة البحوث الإعلامية*. جامعة الأزهر. العدد ١٢. ص ص ١٥١ – ١٦٠

ولقد تعددت الاتجاهات النظرية فى علم الاجتماع، وتهتم هذه الاتجاهات بدراسة الاتصال الإنسانى بصفة عامة والاتصال الجماهيرى خاصة. وتبدو العلاقة الوثيقة التى تربط دراسة الاتصال الجماهيرى والنظريات السوسيولوجية من خلال افتراضين أساسيين، يهتم الافتراض الأول بدراسة دور المؤسسة الإعلامية فى إنتاج المعرفة وإعادة إنتاجها وتوزيعها من خلال مجموعة من الرموز تشير إلى أهميتها فى تزويدنا بالخبرة عن العالم الاجتماعى ويتمثل الافتراض الثانى فى أن وسائل الاتصال تشغل دورًا يتوسط بين الواقع الاجتماعى الموضوعى والخبرة الشخصية.

وإذا كان الاتصال يدخل ضمن ميادين بحث متعددة فى مختلف العلوم الاجتماعية، حيث يهتم علم الاجتماع بدراسة الاتصال كنسق اجتماعى وعملية سوسيولوجية تؤثر وتتأثر بالبناء الاجتماعى، ويدرس علم النفس تأثير الاتصال على سيكولوجية الجماعة والفرد فإننا نجد أن هناك من يرى أن علم الاتصال Communicology لا يمكن أن يكون علمًا مستقلاً، فهو يشبه من الناحية المنهجية والنظرية علم الإجرام والذى يستقل به باحثون ينتمون إلى علوم متعددة ومن ثم فإن علم الإجرام ومعه علم الاتصال يعد مجالًا للبحث أكثر من كونه علمًا مستقلًا بأهدافه وموضوعاته ومناهجه [1].

ولا شك أن بعثرة المعرفة العلمية حول ظاهرة الاتصال على مجالات علمية متعددة تأتى بآثار عكسية على تكامل الرؤية وشمولها لظاهرة الاتصال والتى تعد ظاهرة أساسية فى المجتمع، ومن ثم نجد هناك ثلاثة اتجاهات حول هذا الوضع: يتمثل الأول فى الاستفادة من نتائج العلوم الأخرى ليشكل قاعدة علمية لظاهرة الاتصال، ويتمثل الثانى فى إمكانية قيام علم عام للاتصال ويمكن وصف هذا الاتجاه بأنه نظرى عام، ويتمثل الاتجاه الثالث فى إمكانية قيام علم عام للاتصال مع

---

(١) محمد سعد. المدخل السوسيولوجى لبحوث الاتصال والإعلام: دراسة تحليلية لمساهمات الباحثين الاجتماعين المصريين والعرب. *المؤتمر العلمى السنوى الثالث لكلية الإعلام: الإعلام بين المحلية والعالمية. الجزء الثانى ٢٥ - ٢٧ مايو ١٩٩٧*. ص ص ٢٢٧-٢٢٩ .

إمكانية تفرعه إلى علوم فرعية تتوافق مع الطبيعة الاجتماعية لظاهرة الاتصال [١]. ومع ذلك نرى أن هناك من يؤيد مشروعية قيام علم الاتصال كعلم مستقل بذاته، وقيام علم الاجتماع الإعلامى كفرع من علم الاجتماع استنادًا إلى أن من خصائص قيام العلم وجود طائفة من الظواهر المتميزة، وخضوعها لمنهج بحث والوصول إلى مجموعة من القوانين التى تحكمها.[٢]

لقد كانت بحوث الاتصال مجالا بحثيا نشطا فى السبعينيات والثمانينيات ومعظم هذه البحوث كانت تركز على أهمية سوسيولوجيا الاتصال الجماهيرى والتى تمدنا بفهم أكبر للاتصال الجماهيرى كعملية اجتماعية وبناء الاتصال كمؤسسة اجتماعية[٣]، وليس معنى هذا أن اهتمام علماء الاجتماع بالاتصال يرجع إلى السبعينيات وإنما يرجع إلى قبل ذلك بكثير، ويذكر أن سمول وفينسنت (١٨٩٤) Small & Vincent أشارا إلى أهمية دراسة وسائل الاتصال الجماهيرية بالنسبة لعلم الاجتماع منذ أن اصبح علما، وهناك أمثلة فى أوائل العشرينات توضح الوجود المستمر لدراسات الاتصال فى علم الاجتماع كدراسة بارك (١٩٢٢) Park عن الصحافة المهاجرة والسيطرة عليها، ودراسة بلومروهاوزر Herbert Blumer and Philip. M. Hauser عن السينما والشباب فى الثلاثينيات، ودراسة هافز (١٩٤٠) Hughes عن الأخبار وقضية الاهتمامات الإنسانية، ودراسات بوجارت (١٩٥٦) Leo Bogart عن التليفزيون وقراء الجرائد، وبحوث لانج ولانج فى الخمسينيات وأواخر الستينات Gladys Long and Kurt Long عن التليفزيون والسياسة... كل هذه الأمثلة وغيرها توضح اهتمام علم الاجتماع ببحوث الاتصال الجماهيرى [٤].

---

(١) محمد البادى. علوم الاتصال الجماهيرى واستقلالها. *المجلة المصرية لبحوث الإعلام*. كلية الإعلام. جامعة القاهرة. العدد الثالث. سبتمبر ١٩٩٨ ٠

(٢) محمد سعد. *مرجع سابق*، ص ٢٢٩ ٠

(3) Charles R. Wright, Mass Communication: A sociology perspective, ***Op. Cit.***, Preface pages.

(4) Charles R. Wright, Mass Communication Rediscovered, its past and future in American sociology, ***Op. Cit.***, PP.24-29.

علم الاجتماع وموضوعه :

نظرا لأن علم الاجتماع هو ذلك العلم الذى يدرس المجتمع – كما يذكر صمويل سميث Samuel smith ونظرا لأن المجتمع متسع جدا وغير محدود، نجد أن مجال علم الاجتماع أوسع من أى علم آخر لأنه يشمل كل التفاعلات interactions بين الأفراد والجماعات فى محيط مجتمعهم، كما أن علم الاجتماع يستفيد من العلوم الأخرى كأساس لتعميماته. (١)

وعندما نبحث عن الأصل اللغوى لكلمة Sociology الإنجليزية والتى تعنى علم الاجتماع، نجد أن الكلمة خليط من أصل لاتينى ويونانى والجزآن المكونان للكلمة يصفان ما يحاول علم الاجتماع أن يشرحه، فكلمة (Logy) تشير إلى دراسة على مستوى عال أو علم، وكلمة (Socio) تشير إلى المجتمع، ويعنى هذا أن كلمة Sociology تعنى دراسة المجتمع على مستوى عال من التعميم والتجريد. (٢)

ويعتبر أوجست كونت A. Conte أول من أطلق هذه الكلمة Sociology على الدراسات الاجتماعية، وكان ينوى تسمية هذا العلم الجديد الفيزياء الاجتماعية Social Physics ولكنه تخلى عن هذه التسمية بعد أن نشر أحد الباحثين البلجيكيين دراسات إحصائية عن المجتمع وأسماها الفيزياء الاجتماعية. (٣)

وتختلف تعريفات العلماء لعلم الاجتماع، فيعرفه البعض على أنه: " دراسة السلوك البشرى وحياة الجماعات والمجتمعات." (٤) ويعرفه أوجست كونت بأنه:" العلم الذى يدرس ظواهر المجتمع ومشاكله دراسة موضوعية علمية كغيره من العلوم، ويدرس النظم الاجتماعية فى حالتها الساكنة والتغيرات التى تصيب هذه

---

(1) Alfred Mc Clung Lee, ***Op. Cit.***, Introduction Pages.

(٢) عبد الهادى الجوهرى. *أسس علم الاجتماع* (القاهرة: د.ن، ١٩٩٣) ص٧.

(٣) انشراح الشال: *دراسات فى علم الاجتماع الإعلامي: مدخل فى علم الاجتماع الإعلامي*(القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٥) ص١٦.

(4) Beth B. Hess, Elizabeth W. Markson and Peter J. Stein, Sociology, 3rd ed., (New York: Macmillan Publishing company, 1988) P.3.

النظم وما يترتب على هذا كله من آثار". [١]

ويعـرف صمـويل سميث Samuel Smith علم الاجتماع بأنه: " الدراسة العلمية للمجتمع "[٢]، كما يعرف أيضا بأنه: " الدراسة العلمية للمجتمعات الإنسانية والسلوك البشرى فى جماعات عديدة تكون المجتمع ". [٣]

ويذكر البعض أنه: " دراسة نظامية للعلاقات البشرية ويركز علم الاجتماع على الأفراد فى الجماعات المختلفة وعلى تفاعلاتهم مع بعضهم البعض وكذلك العلاقات بين هذه الجماعات والجماعات الأخرى ويشمل هذا مجموعة متضمنة أكبر هى المجتمع، ويبحث عالم الاجتماع فى نشأة هذه العلاقات ولماذا تدوم أو تنتهى وكيف تتغير وما نتائج هذا التغير. [٤]

وعلم الاجتماع هو العلم الذى يحاول أن يجعل لهذه التغيرات معنى وهو مكرث للتغير الاجتماعى فالتغير الاجتماعى يحدث طوال الوقت. [٥]

ويعرف جنزبرج Ginsberg علم الاجتماع بأنه: " دراسة المجتمع وهذا يعنى دراسة شبكة أو نسيج التفاعلات البشرية بين الأفراد وعلاقاتهم المتداخلة ببعضهم. " [٦] ويتفق معه كل من سمول Small ماكيفر MacIver حيث يعرفه الأول بأنه " العلم الذى يدرس العملية الاجتماعية " ويعرفه الثانى بأنه: " العلم الذى يدرس العلاقات الاجتماعية. [٧]

---

(١) حسن همام: *دراسات فى علم الاجتماع* (القاهرة: د.ن، ١٩٩٢) ص١٠.

(2) -Alfred Mc Clung Lee, (ed.,) ***Principles of Sociology***, 3rd ed., (New York: Barnes and Noble Inc., 1969) Introduction pages.

(3) - William Kornblum, ***Sociology in a changing world*** (New York: Holt, Rinehart and Winston, inc., 1988) P.4.

(4) Mavis Hiltunen Biesanz and John Biesanz, ***Introduction to sociology***, 3rd edition (New Jersey: prentice Hall, inc., 1978) P.6.

(5) William Kornblum, ***Op.Cit.***, P.1.

(6) W.J.H. Sprott, **Sociology**, 3rd ed., (London: Hutchinson university Library, 1966) P.9.

(٧) حسن همام. دراسات فى علم الاجتماع، *مرجع سابق*، ص١١.

واختلف علماء الاجتماع أيضا فى تحديد مؤسس علم الاجتماع، فهناك من اعتبر أوجست كونت مؤسسا لعلم الاجتماع وهناك من أخذ برأى دور كايم Durkheim واعتبر العلامة الفرنسى سان سيمون مؤسسا لعلم الاجتماع، وآخرون اعتبروا كارل ماركس Marx مؤسسا لهذا العلم، وهناك طائفة أخرى تعتبر ابن خلدون وأوجست كونت معا المؤسسين لعلم الاجتماع. (١)

وكما اختلف علماء علم الاجتماع فى تعريف علماء الاجتماع وتحديد مؤسسه فأنهم أيضا قد اختلفوا فى تحديد موضوعه ومجالاته.

فلقد قسم كونت ميادين علم الاجتماع إلى قسمين:

١- الثبات الاجتماعى أو الاستقرار الاجتماعى Social Static.

٢- الحركة الاجتماعية Social Dynamic.

واتفق معه فى ذلك كثير من علماء الاجتماع وإن كانت تسميته قد تعدلت إلى تسمية الأول البناء الاجتماعى Social structure والثانى إلى التغير الاجتماعى Social Change. (٢)

ويذكر دور كايم أن هناك ثلاثة مجالات لعلم الاجتماع:

١- المورفولوجيا الاجتماعية Social Morphology وتعنى دراسة فى شكل المجتمع أو بنيته بما توفره من بيانات عن كثافة السكان والبيانات الأساسية المشابهة عن البيئة الجغرافية المحيطة.

٢- الوظائف الاجتماعية Social Physiology وتهتم بالعمليات الديناميكية فى المجتمع كالدين والأخلاق والقانون والحياة الاقتصادية والسياسية ... الخ ويتكون بها النظام العام أو القواعد التى تضبط السلوك.

---

(١) انشراح الشال: دراسات فى علم الاجتماع الإعلامى. *مرجع سابق*، ص ص١٥-١٨.

(٢) عبد الهادى الجوهرى: أسس علم الاجتماع، *مرجع سابق*، ١٩٩٣، ص ص ١٧-١٨

٣- الاجتماع العام General Sociology والذى يحاول اكتشاف القوانين الاجتماعية العامة الظاهرة فى العمليات الاجتماعية الخاصة بالأفراد. [١]

ويذكر مصطفى الخشاب أن علماء الاجتماع قد انقسموا عند تحديدهم لموضوع علم الاجتماع إلى ثلاث طوائف:

١- الطائفة الأولى ترى أن موضوع علم الاجتماع هو دراسة العلاقات الاجتماعية.

٢- الطائفة الثانية ترى أن تقوم بجانب علم الاجتماع طائفة من العلوم الاجتماعية الجزئية يتناول كل منها دراسة ناحية من نواحى الحياة الاجتماعية.

٣- الطائفة الثالثة تضم مجموعة من العلماء لا يمثلون اتجاها واحدا، فمنهم من يرى أن علم الاجتماع هو علم النظم الاجتماعية ومنهم من يرى أن الموضوع الأساسى لعلم الاجتماع هو دراسة المبادئ التى تؤدى الى الوحدة فى المجتمع والقوى التى تدفع به إلى التطور، ومنهم من يرى أن التغير الاجتماعى هو موضوع علم الاجتماع. [٢]

وكذلك قام Ginsberg جينزبرج بوضع قائمة للمشكلات او الموضوعات الرئيسية لعلم الاجتماع وتضم كلا من:

١- المورفولوجيا الاجتماعية Social Morphology: ولا تتضمن البحث فى كم السكان وتوزيعهم فقط ولكن تشمل أيضا دراسة البناء الاجتماعى أو وصف وتصنيف الأشكال الرئيسية للجماعات الاجتماعية والمؤسسات الاجتماعية.

٢- الضبط الاجتماعى Social control: ويعنى دراسة القانون والأخلاق

---

(1) W.J.H. Sprott, ***Op.Cit.***, P.9.

(٢) مصطفى الخشاب. **دراسة المجتمع** (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٥) ص٥٥.

والدين والعرف والتى تساعد على مساندة أو بقاء وتنظيم المؤسسات الرئيسية فى المجتمع.

٣- العمليات الاجتماعية Social Processes وتعنى دراسة الأنماط المختلفة للتفاعل بين الأفراد والجماعات والتى تتضمن التعاون والصراع، والتكامل الاجتماعى والاختلافات بين الأفراد وعوامل التنمية فى المجتمع أو عوامل تحلله.

٤- علم الأمراض الاجتماعية Social Pathology: ويشمل دراسة سوء التكيف الاجتماعى أو الاضطرابات فى المجتمع ومعرفة أسبابها وطرق علاجها.[١]

وعموما فإن اتساع مجال الدراسة فى علم الاجتماع قد يكون مسئولا عن هذا الاختلاف فى آراء علماء الاجتماع، فعلم الاجتماع وعلماؤه يدرسون السلوك البشرى من نظرات المحبين التى توحى بالألفة إلى دراسة التنسيق المعقد من أجل إطلاق مكوك الفضاء. ومن أجل التحليل يتحدث علماء الاجتماع عن السلوك الاجتماعى كما يحدث فى مستويات ثلاثة.[٢]

١- المستوى الصغير للملاحظة السوسيولوجية Micro level: ويهتم بسلوكيات الفرد أو الأشخاص الآخرين الذين يتعامل معهم، وبمعنى آخر أنماط التفاعل بين أشخاص محدودين فى نطاق تعامله فى مواقف مع أشخاص قليلين. ونموذج لهذا دراسة جوفمان Goffman عن السلوكيات الروتينية اليومية للأشخاص.

٢- المستوى المتوسط Middle level: حيث يبحث علماء الاجتماع فى الأبنية

---

(1)W.J.H. Sprott, ***Op. Cit.***, PP. 9-10.

(2) William Kornblum, ***Op.Cit.***, PP. 4-6.

الاجتماعية Social structures والتى نشارك فيها وتشكل حياتنا فى المجتمع.

٣- المستوى الكبير Macro level: وهناك بعض العلماء يتعاملون مع هذا النطاق الأكبر فى دراسات تحاول أن توضح العمليات الاجتماعية التى تؤثر فى السكان أو أفراد المجتمع فى الطبقات الاجتماعية المختلفة أو المجتمع ككل.

وإذا كان علم الاجتماع يدرس المجتمع بأسره، فإنه يولى اهتماما لوسائل الاتصال حيث أنها ثالث المؤسسات الثقافية بعد الدين والتعليم، وهذا ما يتضح من الشكل الآتي: (١)

شكل رقم (٢)

المؤسسات الثقافية الرئيسية فى المجتمع (٢)

القطاع المؤسساتي Institutional sector	مؤسساته الكبرى Major institutions	منظماته الأساسية Key organizations
الدين	الكاثوليكية الرومانية – البروتستانتية اليهودية – الإسلام – الهندوسية – البوذية	الكنائس – المساجد – الملل والطوائف الدينية
التعليم	**الأولى – الثانوى – العالى – المهنى أو المحدود**	نظم المدارس العامة – الكليات – المدارس الدينية

(1) ***I bid***, P.515.

(٢) نقلا عن *المرجع السابق*، ص٤٩٧.
وأضاف الباحث المساجد إلى مؤسسات التربية الكبرى، كما أضاف المساجد إلى المؤسسات التى تهتم بتعليم الدين وهو ما يعرف عندنا بالتعليم الأزهرى ٠

	Vocational parochial	(الخاصة بالكنائس أو المساجد) church schools
الاتصال وسائل الاتصال	التلفزيون الراديو الصحافة نشر الكتب السينما	الشبكات التلفزيونية والإذاعية الجرائد والمجلات ناشرو الكتب شركات الأفلام
الفنون	الفنون المرئية والتى يتم تأديتها	المتاحف – المعارض الفنية – جماعات الرقص – المسارح

وسائل الاتصال والضبط الاجتماعي:

واهتمام علماء الاجتماع بوسائل الاتصال يعود إلى أن وسائل الاتصال تؤثر فى المجتمع وتتأثر به، وفى الشكل السابق تتضح أهمية التليفزيون باعتباره أهم وسيلة وأول وسيلة من حيث ترتيب انتشارها فى المجتمع بل إنه يعد من أقوى الوسائل فى المجتمع حيث يتعرض له الجميع، وبهذا لم تعد وسائل الاتصال أدوات للاتصال فحسب ولكنها أصبحت أدوات للضبط الاجتماعى.[1]

ويعرف الضبط الاجتماعى Social control بأنه العمليات المخططة أو غير المخططة والتى يتم بها تعليم الناس أو دفعهم أو إقناعهم باتباع أعراف المجتمع وقيمه. وبقاء المجتمعات يعتمد على أفراده الذين يتصرفون بطرق يمكن التنبؤ بها، والسلوكيات المتطابقة مع باقى أفراد المجتمع يتم مكافأتها بينما تعطى عقوبات رادعة لذوى السلوك المنحرف،والمكافآت والعقوبات هذه جانب هام وحاسم لكل الأنظمة الاجتماعية[2].

(1) Harry J. Skornia, ***Television and Society: An inquest and Agenda for improvement*** (New York: Mc Graw Hill, 1968) P.145.

(2) Beth B. Hess, Elizabeth W. Markson and peter J. Stein, ***Op. Cit.***, P.142.

وهناك ثمة آليات للضبط الاجتماعى ولها فاعليتها فى سلوك الفرد حتى يحظى بتقدير أفراد جماعته، وبهذا تصبح الجماعات أداة لضبط السلوك، فنحن نضبط سلوك غيرنا والآخرون بدورهم رقباء على سلوكنا، كما توجد تنظيمات على مستوى المجتمع الشامل لكل الجماعات تراقب انتهاك القوانين والتقاليد والعرف والدين، وبدون هذا الضبط الاجتماعى تصعب معيشة الأفراد. [١] إذ أن الضبط الاجتماعى يعتبر أحد الطرق التى يمنع بها المجتمع الانحراف Deviance ويعاقب المنحرفين Deviants [٢] ويتفق هذا مع ما يذكره اوجبرن وينمكوف Ogburn and Nimkoff من أن مفهوم الضبط الاجتماعى يقصد به العمليات أو الوسائل التى تلجأ إليها الجماعة للتحكم فى الانحراف عن المعايير الاجتماعية وأن كل ما يعتبر وسيلة من وسائل التنظيم يعتبر فى الوقت ذاته أداة من أدوات الضبط الاجتماعى. [٣]

ويزاول المجتمع الضبط الاجتماعى بطرق ثلاث:

١- تنشئة الأفراد مما يجعلهم راغبين فى التصرف على النحو المطلوب منهم.

٢- فرض ضغوط جماعية على الأفراد تلزمهم بالتوافق وإلا عوقبوا.

٣- استخدام القوة حين لا تجدى الطريقتان السابقتان. [٤]

وبينما نجد أن بعض علماء الاجتماع يرون أن فكرة الضبط الاجتماعى تتضمن معنى التدخل والسلطة والقوة والسيطرة، نجد آخرون يرون أن الضبط الاجتماعى يشير إلى معانى الإرشاد والإشراف والتوجيه، وهناك فريق ثالث من العلماء يستخدمون كلمة الضبط بمعنى أنها تتضمن فى وقت واحد فكرتى التنظيم والتخطيط سواء فى ذلك التخطيط الاقتصادى أو التخطيط الاجتماعى. [٥]

---

(١) كمال دسوقى. *الاجتماع ودراسة المجتمع*. ط١ (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧١) ص ص ٢٠٤-٢٠٦.

(2) William Kornblum, ***Op. Cit.***, P.201.

(٣) السيد الحسينى. *علم الاجتماع: الجذور والنشأة والمفاهيم* (القاهرة: د.ن، ١٩٩٦) ص٣٧١.

(٤) كمال دسوقى. *مرجع سابق*، ص ص٢٠٦-٢٠٧.

(٥) السيد الحسينى. *مرجع سابق*، ص٣٦٨.

وتستطيع وسائل الاتصال – وعلى رأسها التليفزيون – أن تمارس الضبط الاجتماعى عن طريق الإرشاد والتوجيه – كما يرى علماء الفريق الثانى فى فكرة الضبط الاجتماعى السابق الإشارة إليها – لأن وسائل الاتصال تمدنا بسيل هائل من الرسائل نتعلم منه. فالتلفزيون ينقل لنا حقائق الحياة، ويفسر العالم من حولنا وينقل لنا قصص الكفاح ويخبرنا عن الناس وعن الأماكن ويدعنا نعرف من الناجح ومن الفاشل.[١] وهناك العديد من الدراسات تبين أن من أهم دوافع التعرض للتليفزيون استكشاف الواقع وطلب النصيحة لما يجب فعله فى المواقف الاجتماعية المختلفة.[٢]

وسائل الاتصال والتغير الاجتماعي:

يعنى التغير الاجتماعى Social change التحولات التى تقع فى فترات مختلفة عبر الزمن فى نظام بيئة السكان والمجتمعات، كما يعنى أيضا التحولات فى أنماط الأدوار والتفاعلات الاجتماعية وفى بناء ووظائف المؤسسات الاجتماعية [٣]

ويميل علماء الاجتماع إلى التمييز بين التغير الاجتماعى والتغير الثقافى، فالتغير الاجتماعى يطرأ على العلاقات الاجتماعية بينما التغير الثقافى يصيب القيم والمعتقدات والمثل والرموز الشائعة فى المجتمع، غير أن الواقع الفعلى يشير إلى صعوبة الفصل بين هذين النمطين.

فالتغير الاجتماعى يتم بواسطة أفراد هم جزء من البناء الاجتماعى، كما أن التغير الاجتماعى له مكونات ثقافية بالغة الأهمية فى تحديده [٤]" ولذا يرى عبد الهادى الجوهرى أن التغير الاجتماعى جزء من موضوع أوسع وهو التغير الثقافى وهو

---

(1) Michael Morgan and Nancy Signorielli, Cultivation Analysis: Conceptualization and methodology, in: Nancy signorielli and Michael Morgan (eds.,) ***Cultivation Analysis: New Directions in Media Effects Research*** (California: Sage Publications, 1990) PP. 13-30.

(٢) انظر على سبيل المثال الدراسات الآتية:

- Ronald J. Compesi, ***Op.Cit.***, PP. 154-158.
- Austin S. Babrow, students Motives for watching soap operas, ***Journal of Broadcasting and Electronic Media***, Vol. 31, No. 3, Summer 1987, PP. 309-321.

(3) William Kornblum, ***Op.Cit.***, p.566.

(٤) السيد الحسينى. *مرجع سابق*، ص٤٤٧.

الذى يشمل كل التغيرات التى تحدث فى كل فرع من فروع الثقافة بما فى ذلك الفنون والعلوم والتكنولوجيا والعلوم التكنولوجية بالإضافة إلى تلك التغيرات التى تحدث فى قواعد التنظيم الاجتماعى أساسا.[١]

ويعرف مصطفى الخشاب التغير الاجتماعى بأنه: كل تحول يحدث فى النظم والأنساق والأجهزة الاجتماعية سواء كان ذلك فى البناء أو الوظيفة خلال فترة زمنية محددة ويذكر عدة عوامل للتغير الاجتماعى منها التغيرات التكنولوجية [٢] ولعل وسائل الاتصال أهمها فلوسائل الاتصال والتليفزيون أهمها قدرة كبيرة على إحداث التغير الاجتماعى.

ولقد تأثر دانيل ليرنر Daniel Learner ومجموعة أخرى من العلماء الاجتماعيين بدرجة كبيرة بقدرة وسائل الاتصال على دمج الناس فى الحياة العامة وجلب التغيرات فى قيمهم التقليدية، يتضح هذا من دراسة ليرنر ١٩٦١ عن التغير الاجتماعى فى لبنان وبعض دول الشرق الأوسط، كما كشفت مقالات ليرنر عن تأثير وسائل الاتصال فى العلاقات بين الجنسين، فالمرأة العربية تعرضت للسينما الغربية التى تظهر النساء فى أدوار غير الأم والابنة وهذه الأشكال الجديدة غيرت القيم التقليدية للنساء. [٣]

ويعد الاتصال جزء أساسيا للتغير الاجتماعى[٤] ويقتنع كثيرون من دارسى الاتصال بأن وسائل الاتصال تقوم بتشكيل واقعنا[٥]، ومن ثم يقوم معظم النقد الموجه لوسائل الاتصال على افتراض أن ما يراه الناس ويشاهدونه فى وسائل الاتصال يؤثر بقوة على اتجاهاتهم وسلوكهم [٦].

---

(١) عبد الهادى الجوهرى. *أسس علم الاجتماع*. ط٣ (القاهرة: د.ن، ١٩٩٨) ص٢٣٥.

(٢) مصطفى الخشاب، **مرجع سابق**، ص ص ١٨٨-٢٠٣.

(3) William Kornblum, ***Op. Cit.***, PP.515-516.

(٤) شاهيناز طلعت. **وسائل الاتصال والتنمية الاجتماعية**، ط٢ (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٦) ص١٠١.

(5) William Kornblum, ***Op. Cit.***, p.521.

(6) Beth B. Hess Elizabeth W. Markson and Peter J. Stein, ***Op. Cit.***, P 562.

ومنذ تأكد الاقتناع بوجود علاقة بين عملية الاتصال الجماهيرى ومستوى التطور الاجتماعى المادى وغير المادى، بدأ البحث الاجتماعى الإمبيريقى يحاول جادا إلقاء الضوء على دور وسائل الاتصال الجماهيرى كعامل من عوامل التغير الاجتماعى. وتجدر الإشارة فى هذا الصدد إلى أن هناك دراسات أجريت عن استخدام وسائل الاتصال فى تطوير البلاد النامية، ويمكن القول بشكل عام أن وسائل الاتصال ذات تأثير من شأنه التعجيل بحدوث التغير الاجتماعى. (١)

والتغيرات التى يتم ملاحظتها فى القضايا والصور النمطية التى تتداولها وسائل الاتصال الجماهيرى ساعدت وما زالت تساعد فى التعرف على اتجاهات التغيير وفهم آثار التغير الاجتماعى بصفة عامة. (٢)

ويهتم كثير من علماء الاجتماع بمناقشة دور الإعلام كأداة للتغير الاجتماعى ويقومون بتقييم هذا الدور، ولكنهم بداية يشيرون إلى طبيعة المهام والوظائف التى يمكن أن يؤديها الإعلام فى مجال التغير الاجتماعى. (٣)

دور وسائل الاتصال فى التنشئة الاجتماعية:

فى الحقيقة يحظى التليفزيون بنصيب كبير من اهتمام الدراسات السوسيولوجية بوسائل الاتصال الجماهيرى، ويرجع اهتمام علماء الاجتماع بالتلفزيون إلى أنه يعد واحدا من أهم وسائل الاتصال التى تتنافس مع الوالدين فى مجال التنشئة الاجتماعية. وهناك سببان للاهتمام بالتليفزيون يتمثل الأول فى الوقت الهائل الذى يمضيه الأفراد أمام التليفزيون، فلقد أجريت دراسات بينت أن الفرد عندما يصل

---

(١) محمد الجوهرى. بدايات المدخل الاجتماعى للإعلام والاتصال في: محمد الجوهرى (محرر) الاعلام والمجتمع: *دراسات فى علم الاجتماع الإعلامى* (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨) ص ص ١٦-١٧.

(٢) محمد الجوهرى: بحوث الاتصال الجماهيرى. في: محمد الجوهرى (محرر) الاعلام والمجتمع: دراسات فى علم الاجتماع الإعلامى. *المرجع السابق*، ص ص ٦٨-١٦٦.

(٣) حسن همام: *دراسات فى علم الاجتماع والتغير الاجتماعى* (القاهرة: د.ن، ١٩٩٣) ص٣٣١.

إلى سن السادسة عشرة يبلغ متوسط مشاهدته من ١٢ ألف إلى ١٥ ألف ساعة، ويتمثل السبب الثانى فى التعرض للعنف التليفزيونى وتأثيراته. [١]

ولا تمدنا وسائل الاتصال – وأهمها التليفزيون وما يبثه من برامج وأفلام – بمعلومات عن أحدث الموضات وأنماط مختلفة يعيشها البشر فقط، وإنما تشبع حاجتنا أيضا للتعرف على أنفسنا ومقارنة حياتنا بالآخرين والعلماء السلوكيين يفسرون هذه الظاهرة بما يسمونه نظرية المقارنة الاجتماعية Social Comparison Theory وطبقا لهذه النظرية فإننا نميل إلى تقييم آرائنا وقدراتنا وسلوكنا بمقارنتها مع الآخرين. وفى بعض الحالات نعتمد على الناس الذين نراهم أو نسمع عنهم فى وسائل الاتصال، وبهذه الطريقة تساعدنا وسائل الاتصال على معرفة الكثير عن أنفسنا وعن الآخرين، ولهذا فإن العديد من الجماعات تضغط على وسائل الاتصال لتمدنا بنماذج يكون لها تأثيرات إيجابية فى مجال التنشئة الاجتماعية على الأفراد. [٢]

وللتنشئة الاجتماعية أهمية كبرى فى حياة المجتمعات، إذ أنها تقوم بوظيفتين فى غاية الأهمية للمجتمع وهما: [٣]

١- المحافظة على النظام الداخلى للمجتمع وتماسكه.

٢- تعليم القيم والأدوار ونمط السلوك والقدرة على نقل القيم من جيل إلى آخر.

وتلعب وسائل الاتصال دورا كبيرا فى التنشئة الاجتماعية للأفراد، لدرجة حدت بالبعض إلى تسميتها بالوالد الثالث Third Parent. فمن الملاحظ أن دور الوالدين يتقلص فى مرحلة المراهقة وما بعدها، كما أنهما ينشغلان أكثر بالسعى وراء الرزق

---

(1) Stuart A. Pizerl and Jeffrey Travers, ***Psychology and Social change*** (New York: Mc Graw Hill Inc., 1975) PP. 140-142.

(2) Samuel L. Becker, ***Discovering Mass Communication*** (USA: Scott, Foresman and company, 1983) P.406.

(3) Stuart A. pizerl and Jeffery Travers, ***Op. Cit.***, PP. 123-124.

توفيرًا لحياة كريمة للأبناء، والدور الكبير لوسائل الاتصال فى التنشئة يتمثل فى أن الكثيرين يستخدمون التليفزيون كجليس للأطفال Baby sitter وكذلك استخدام التليفزيون كأداة للثواب أو العقاب بحرمان الأطفال من مشاهدته.

وتوضح دراسة طريفة أجريت فى جامعة نبراسكا Nebraska أهمية الدور الذى يلعبه التليفزيون فى التنشئة الاجتماعية، فلقد أجرت الجامعة مسحا قوميا حيث سئل الأطفال: " إذا كأن عليك أن تختار بين أبيك وبين التليفزيون فأيهما ستحتفظ به؟ " وكانت النتيجة أن أكثر من نصف العينة اختاروا الاحتفاظ بالتليفزيون. (١)

كما أن سائل الاتصال الجماهيرية تسهل عملية التنشئة الاجتماعية عن طريق إعطاء الناس أشياء يتحدثون مع بعضهم عنها، وهكذا تساعدهم على تحقيق التنشئة الاجتماعية المتبادلة Multual Socialization (٢) والكثير من الدراسات تذكر الفائدة الاجتماعية Social Utility كأحد دوافع التعرض لوسائل الاتصال (٣)، كما يشبع التعرض لوسائل الاتصال بعض حاجات التكامل الاجتماعى Social integration needs وهى الحاجات المرتبطة بتقوية الاتصال مع الأسرة والأصدقاء والعالم المحيط، كما تكون خاصة برغبة الفرد فى الشعور بالانتماء إلى المجتمع الذى يعيش فيه. (٤)

ونظرا لأن العديد من العائلات تقضى أكثر من نصف الساعات التى تكون

---

(1) Donna Woolfolk Cross, ***Media speak: How Television Makes Up your mind***, 2nd impression (New York: Coward- Mc Conn, Inc., 1983) p.231.

(2) Samuel L. Becker, ***Op. Cit.***, p. 406.

(٣) انظر على سبيل المثال:

-Ronald J. Compesi, Gratifications of Day Time Television Serial Viewers, ***Journalism Quarterly***, Spring 1980. PP.154-158.

- Robert Abelman, Motivations for viewing:"The 700 Club", **Journalism Quarterly**, Vol.65, No.1, Spring 1988. PP.112-118.

(4) Jay Black and Jennings Bryant, ***Introduction to communication: understand the past: Experience the present, Marvel at the Future***, 4th ed., (USA: Brown Communications, Inc., 1995) pp. 35-36.

متيقظة فيها مع التليفزيون فإن عددا من الاهتمامات الكبرى للمجتمع تكون موضوعا للنقاش بين الأفراد. ولم توجد وسيلة اتصال مثل التليفزيون تعتبر أكثر قوة فى نقل صورة النشاط الإنسانى للأفراد وتعزيز اتجاهاتهم أو تغييرها [١]، ولعل هذا يوضح دور التليفزيون فى التنشئة الاجتماعية.

ودور التليفزيون فى التنشئة الاجتماعية يعنى مساعدة الناس فى الانسجام والتلاؤم مع المجتمع وهذه عملية تستمر طوال الحياة، واستخدام التليفزيون بهذه الطريقة يعتبر نشاطا اجتماعيا ويجمع الناس سويا ويخلق وجهات نظر متقاربة ويسهل التفاعل الاجتماعى مع الآخرين. [٢]

وبالرغم من أهمية وظيفة التنشئة الاجتماعية والتى تقوم بها وسائل الاتصال إلا أن ممارسة هذه الوظيفة قد تأتى بنتائج عكسية أو كثيرا ما يساء استخدامها، فعلى سبيل المثال صار العنف والعرى والإغراءات التى يتم تصويرها بصراحة وتغوى المتعرضين لوسائل الاتصال فى الولايات المتحدة إضافة إلى أن اللغة الفاحشة أكثر شيوعا فى وسائل الاتصال فى المجتمع الأمريكى خلال السنوات الأخيرة. والنتيجة ما وصفه عالم الاجتماع الأمريكى ماكس ليرنر Max Lerner بأنه نوع من المجتمع البابليونى Babylonian Society حيث يمكن أن يجرى فيه أى شئ [٣]. ومن المعروف أن بابليون Babylon كانت مدينة كبيرة منغمسة فى الترف والإثم، وتسمى باللغة العربية بمدينة بابل. [٤]

علم الاجتماع الإعلامي:

يرى محمد الجوهرى أنه لو اختفت وسائل الاتصال فسوف يختفى معها ذلك

---

(1) Warren K.Agee, Phillip H.Ault and Edwin Emery, ***Introduction to Mass Communications*** 8th ed., (New York: Harper and Row Publishers, Inc., 1985) P. 465.

(2) John Vivian, ***Op. Cit.***, P 391.

(3) Warren K. Agee, Phillip H. Ault and Edwin Emery, ***Op. Cit.***, P.475.

(٤) منير البعلبكى. *قاموس المورد، انجليزى – عربى* (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٦) ص٨٠.

العلم الذى يتخصص فى دراسة ملامح عملية الاتصال وعناصرها ووسائلها وآثارها. (١)

ويبدو أن تأثيـــرات وسـائل الاتصال كانت – ولا تزال – لب هذا العلم، حيث تذكر انشراح الشال أن: " الدراســات التى قامت حول تأثير وسائل الإعلام كانت نواة لعلم الاجتماع الإعلامى ". (٢)

وهناك علاقة وثيقة تربط الاتصال الجماهيرى بالمجتمع، ودراسة هذه العلاقة تنتمى إلى ما يسمى بسوسيولوجيا الاتصال الجماهيرى Sociology of Mass Communication أو علم الاجتماع الإعلامى، حيث يهتم هذا المجال بالتحليل الاجتماعى لوظائف وسائل الاتصال، إذ توجد مبادئ فلسفية ومعيارية عامة تؤكد على العلاقة التى تربط الإعلام بالمجتمع، فعلى سبيل المثال يتأثر المضمون الذى تقدمه وســائل الاتصال بالظروف الاجتماعية والاقتصادية السائدة فى المجتمع. (٣)

وعندما بدأ علم الاجتماع يولى اهتمامه لعملية الاتصال ليلم بأبعادها ومعايير تأثيرها فى أفراد المجتمع، رأى البعض أن يستقل بالإعلام فرع من فروع علم الاجتماع يركز على العملية الإعلامية وأبعادها التأثيرية والاقنــاعيـــة فى المجتمع بأفراده وجماعاته كى يسهم فى استكمال أبعاد الخريطة السوسيولوجية لأى مجتمع من منطلق الأهمية الكبرى للإعلام فكان علم اجتماع الإعلام. (٤)

ويعنى هذا أن الاتجاه السوسيولوجى لدراسة الاتصال الجماهيرى والذى يؤكد على اجتماعية عملية الاتصال ونتائجها، يعد ثمرة البحث فى علم الاجتماع الإعلامى، وهذا الاتجاه السوسيولوجى يضيف الكثير إلى فهمنا للاتصال الجماهيرى كظاهرة اجتماعية. (٥)

---

(١) محمد الجوهرى: بدايات المدخل الاجتماعى للإعلام والاتصال. *مرجع سابق*، ص١٦.

(٢) انشراح الشال: دراسات فى علم الاجتماع الإعلامى. *مرجع سابق*، ص١٠.

(٣) طه عبد العاطى نجم. *الاتصال الجماهيرى* (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨) ص٧.

(٤) جبارة عطية جبارة. **علم اجتماع الاعلام** (الرياض: عالم الكتب، ١٩٨٥) ص ص١١-١٢.

(5) Charles R. weight, Mass Communication: A sociological Perspective, ***Op. Cit.***, p. 4.

ويركز علم اجتماع الإعلام Sociology of information فى اهتماماته على دراسة العملية الاتصالية كعملية اجتماعية ديناميكية بما تشمله من عناصر كالمرسل والمستقبل والوسيلة والتأثير وما تؤديه من وظائف تربوية وتوجيهية تندرج بدورها على المجتمع ككل[١].

وتعرف انشراح الشال علم الاجتماع الإعلامى بأنه: " دراسة وصفية علمية تحليلية مقارنة لوسائل الإعلام من حيث وجودها فى المجتمع الإنسانى مؤثرة ومتأثرة به". [٢]

ويرى الباحث أن علم الاجتماع الإعلامى هو ذلك الفرع من فروع علم الاجتماع والذى يعنى بالاتجاه السوسيولوجى فى دراسة الاتصال الجماهيرى ويبحث فى بنية وسائل الاتصال المختلفة لاعتبارها أحد مكونات العملية الاتصالية كما يهتم أيضا بباقى المكونات من مرسل ورسالة ومستقبل [٣] وإن كان اهتمامه الأساسى يتركز فى مضمون الرسالة وتأثيرها على الفرد والمجتمع مع الأخذ فى الاعتبار أن الاتصال الجماهيرى عملية اجتماعية ذات نتائج اجتماعية ثقافية تختلف باختلاف النظم والمجتمعات بل تختلف نتائجه فى المجتمع الواحد من أن لآخر.

---

(١) جبارة عطية جبارة: *مرجع سابق*، ص١٩.

(٢) انشراح الشال: دراسات فى علم الاجتماع الإعلامى، *مرجع سابق*، ص٣٢.

(٣) يعتبر نموذج هارولد لازويل Harold Lasswell الذى نشره فى كتابه " اتصال الافكار " والذى نشره فى ١٩٤٨ والمكون من خمسة أسئلة معبرا جيدا عن مكونات او عناصر عملية الاتصال. ونموذجه كالآتي: ١) من (القائم بالاتصال) ٢) يقول ماذا (المضمون) ٣) بأية وسيلة (وتشمل وسائل الاتصال والتكنولوجيا التى تنقل من خلالها الرسالة) ٤) لمن (الجمهور) ٥) وما التأثير (تأثيرات وسائل الاتصال). وفى عام ١٩٥٦ قام جورج جربنر George Gerbner بمد هذه الأسئلة الى عشرة وهى ١) شخص ما ٢) يدرك حدثا ٣) ويتصرف ٤) فى موقف ٥) خلال بعض الوسائل ٦) ليتيح بعض المواد ٧) بشكل ما ٨) وسياق معين ٩) وينقل مضمونا ما ١٠) له بعض النتائج. ثم توالت النماذج التى تشرح مكونات عملية الاتصال وتبتعد عن الصفة الخطية لها وتشرح الصفة الدائرية والتى تعنى رد فعل الجمهور.. انظر:

- James Watson, ***Media Communication: An introduction to theory and process***, 4th ed., (London: Mac Millan Press LTD, 1998) PP.38-42.

والذى يجعل الباحث يرى أن الاهتمام الأساسى لعلم الاجتماع الإعلامى يتركز فى مضمون الرسالة وتأثيرها، ما يذكره أغلب علماء الاجتماع من أن الأبعاد السوسيولوجية فى الإعلام يمكن أن تبرز لو استطعنا الإجابة على السؤال الآتي: " ما الدور الوظيفى للإعلام فى المجتمع؟ " إذ تكمن فى إطار الإجابة على هذا السؤال كل الأبعاد والقضايا السوسيولوجية المنهجية فى الإعلام[1].

(١) أحمد النكلاوى. **المدخل السسيولوجى للإعلام** (القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، ١٩٧٤) ص٧٦.